زهرة البراري الأليفة

ككتّاب، كثيراً ما نسخّر شخصياتنا الورقية لتوصل ما نريد أن نوصله، لتتبنى قضايانا، لتخوض معاركنا..

عندما افتقدت زهرة جميلة كنت أراها في طفولتي ومراهقتي سخّرت ماجد بطل رواية "دنيانا" ليبحث لي عن تلك الزهرة التي لم أعرف اسمها ولم يعرفه هو فأسميناها زهرة البراري الأليفة..

الغريب أنني قبل النشر وحتى بعد النشر لم أجد لها ذِكراً ولا إسماً ولا صورةً في أيّ من المراجع التي بحثت فيها آنذاك..

فرسمت الزهرة من ذاكرتي على الغلاف وظننت أن أحد المهتمين بالبيئة سيساعد في البحث عنها.. ولكن ذلك لم يحدث.

ثم جاءت الطبعة الثانية وفي هذه المرة وجدت صورةً للزهرة في الشبكة فوضعتها على الغلاف الخلفي وذكرت إنها تُزرع على مساحات شاسعة في النمسا كما قد علمت، علّها هذه المرة تلفت نظر أحد المهتمين بالبيئة الذين أصبحوا يهتمون بالأزهار ويحتفون ببعضها، إلا أنها أيضاً لم تفعل. ألأنها كانت مهاجرةً، فلم يكن لها مكان بين أزهار بيئتنا يراه البيئيون؟ ولكن ألا يستحق المهاجر إلى أرضنا الحماية؟ كيف نسمح بانقراض زهرةٍ على ترابنا؟

ربما كان الآخرون لا يشعرون بالحنين للأزهار التي تركت شذاها في ذاكرتهم عندما صافحت أنوفهم الطفولية أول مرة.. ربما لم تبهرهم أو تثير في أنفسهم تساؤلات وهم يستنشقون مكونات شذاها التي تتحد بشكلٍ غريب فتنبعث عطراً خلاباً..

أما أنا فأشعر بهذا الحنين لشذى الأزهار التي بهرتني أول مرةٍ في الطفولة، مثل الياسمين بشذاه المتسلط بجماله والذي احتفيت به أدبياً غير مرة.. ومثل "زهرة البراري الأليفة" التي قطعاً لن أحاول لفت نظر يدٍ "خضراء" للمساعدة في إعادتها لقطر في الطبعة الثالثة.. فالشخصيات التي تفترض اهتمامها بقضاياك، قد لا تختلف كثيراً عن شخصياتك الورقية..

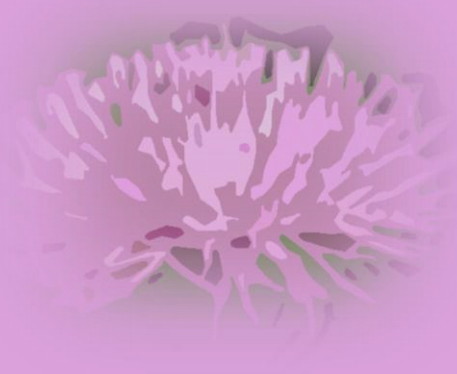

نشر في الشرق القطرية بتاريخ ٢٠١٣/١١/١م